



منشورات جمعية منتدى العلم النافع (٤)

التدرج في طلب العلم

- (العلم الواحد) أنموذجاً -

تأليف

فراس بن خليل مشعل



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التدرج في طلب العلم

- (العلم الواحد) أنموذجاً -

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منشورات جمعية منتدى العلم النافع (٤)

التدرج في طلب العلم

- (العلم الواحد) أنموذجاً -

تأليف

فراس بن خليل مشعل

جمعية منتدى العلم النافع

هاتف: ٠٧٧٥٢٥٥٥٩٩

ص. ب: ١٤٣٠١٠ - رمز بريدي ١١٨١٤

البنك الإسلامي الأردني

حساب رقم: ١٢٧٧٥ / فرع مرج الحمام.

E-mail: muntada.edu.2011@outlook.com

الفصل الأول

- المطلب الأول: تمهيد
- المطلب الثاني: صلاح المسلمين بصلاح تعليمهم
- المطلب الثالث: وصول بعض الطلبة دون الآخرين
- المطلب الرابع: المدة الزمانية الكافية لتحصيل أصول العلم
- المطلب الخامس: تشخيص الداء = أين الخلل
- المطلب السادس: الأخطاء في طرائق التعلم

المطلب الأول

تمهيد

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله - وحده لا شريك له - .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد...

«فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا:
يَجِدُّونَ إلى العلم ولا يَصِلُونَ، ومن منافعهِ وثمراتِهِ - وهي العمل
به والنشر - يُجْرَمُونَ»^(١).

فتجدهم «يقضون السنين الطوال في تعلم العلم، بل في علم
واحد، ولا يحصلون منه على طائل.

وربما قضوا أعمارهم فيه، ولم يرتقوا عن (درجة المبتدئين)»^(٢)،
فترى الطالب منهم «يَشْبُ ويشيب، وهو يقرأ، ولم يُحْصَلْ شيئاً»^(٣)؛
ذلك أن «الجهل بالطريق، وآفاتهما، والمقصود: يُوجب التعب الكثير،
مع الفائدة القليلة»^(٤).

-: استعنت بربي، ذي المنن والعطايا: على إنشاء تأليف، يصف
هذه الظاهرة، ويبين أسبابها، ويتلمَّسُ الحلول لها.
وسألته / وأسأله سبحانه، لا إله إلا هو، بأسائه الحسنی وصفاته العلی:

(١) «تعليم المتعلم» للزرنجي (٥٣).

(٢) «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» (٢٥٣).

(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤/٣٤٧).

(٤) «الفوائد» لابن القيم (٢٥١).

أن يسدد رميتي، وأن يوفق رأبي، وأن يهدينني لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم...

فأقول:

- وهذا أوان الشروع في المقصود -
وبه سبحانه، وحده، أجول وأصول:

المطلب الثاني

صلاح المسلمين بصلاح تعليمهم

❖ قال العلامة عبد الحميد بن باديس:

«لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءؤهم.

فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح: صلح الجسد كله،

وإذا فسد: فسد الجسد كله.

وصلاح المسلمين: إنما هو بفقهم الإسلام، وعملهم به.

وإنما يصل إليهم هذا على يد علماءهم.

فإذا كان علماءؤهم أهل جمود في العلم، وابتداع في العمل:

فكذلك المسلمون يكونون.

○ يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما

يستقبل من عمله: لنفسه وغيره.

○ فإذا أردنا أن نصلح العلماء: (فلنصلح التعليم)»^(١).

وموضوع كتابنا: هو إجابة لسؤال كثير الترداد، وهو قول القائل:

«أطلب العلم منذ زمن، ولكنني لا أشعر بأني قد حصلت شيئاً يذكر!!

(١) آثار ابن باديس (٢/٢١٧).

فأين الخلل، وما السبيل الصحيح والجادة المطروقة لتحصيل العلم؛ كما حصّله من قبلنا من أهل العلم؟». إنَّ من الأمور المسلمات لدى العقلاء: أن من أراد الوصول إلى هدفٍ معين: سلك الطريق الموصولة إليه. فإذا تعددت الطرق: فلا بدَّ أن يبحث السالك عن أقرب الطرق الموصلة إلى مبتغاه.

فإذا كان طالب العلم: هو السالك.
وكان العلم: هو المبتغى
فلا بُدَّ لطالب العلم أن يبحث عن أقرب الطرق الموصلة إلى تحصيله (العلم الراسخ).
لأن العمر قصير، والعلم كثير، والطرق إليه كثيرة.
لذلك قال العلامة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في «منظومة القواعد والأصول»:

- « ٥- وبعْدُ، فالعلمُ بِجورٍ زاخرة
٦- لكن في أصوله تسهيلات
٧- فاغتنم القواعد الأصولا
لن يبلغ الكادحُ فيه آخره
لنيله فاحرص تجدُ سبيلا
فمن تفتته: يُحرم الوصولًا»

✓ فإذا كان كلامنا عن (طالب العلم): فيخرج بذلك من لا يحمل
هذا اللقب، ممن يطلب العلم، وهو غيرُ جادٍ في الطلب؛ كما
أنشد ابنُ فارسٍ:

إذا كنت تأذى بجرِّ المصيف ويُبسِ الخريفِ وبردِ الشتاء
ويُلْهيك حُسنَ زمانِ الربيع فأخذك للعلم قُلْ لي متى^(١)

وإذا علمنا أن أهل العلم يقسمون مراحل الطلب إلى ثلاثِ مراحل:
(بدايةً، وتوسطٍ، وانتهاءً).
أو (اقتصار، واقتصاد، واستقصاء).

كان كلامنا عن (طالب العلم المبتدئ، أو المقتصر): فيخرج بذلك
(طالب العلم المتوسط أو المقتصد)، و (طالب العلم المنتهي أو المستقصي).
وأخرجنا القسمين الأخيرين؛ لأنه من المعلوم أنه: ما بلغ
(التوسط أو الانتهاء) إلا بعد أن عرف الطريق.

(١) إنباهُ الرواة (١/ ١٣٠).

المطلب الثالث

وصول بعض الطلبة دون الآخرين

(هل كلُّ من يطلب العلم يحصله؟)

❖ قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه «الفوائد» (٢٥١):

«الجهل بالطريق وآفاتهما، والمقصود: يُوجب التعب الكثير، مع

الفائدة القليلة».

❖ وقال العلامة برهان الإسلام الزرنوجي - رحمه الله - في

كتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم» (٥٣):

«فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا: يجِدُّون إلى العلم ولا

يصلون، ومن منفعه وثمراته - وهي العمل به والنشر - يُحرمون، لما

أنهم أخطأوا طريقه وتركوا شرائطه، وكلُّ من أخطأ الطريقَ: ضلَّ،

ولا ينال المقصودَ: قلَّ أو جَلَّ».

❖ وقال العلامة ابن بدران - رحمه الله - في كتابه «المدخل إلى

مذهب الإمام أحمد بن حنبل» (٢٥٣):

«اعلم: أن كثيراً من الناس يقضون السنين الطوال في تعلم

العلم، بل في علمٍ واحد، ولا يحصلون منه على طائل.
وربما قضوا أعمارهم فيه، ولم يرتقوا عن (درجة المبتدئين).
❖ وقال العلامة حمدُ بنُ عتيق - رحمه الله - :
«فتجد من يَشِبُّ ويشيب وهو يقرأ، (ولم يحصل شيئاً)».
«الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤ / ٣٤٧).

المطلب الرابع

(المدة الزمانية الكافية لتحصيل أصول العلم)

❖ قال العلامة ابن بدران - رحمه الله - في كتابه «المدخل» (٢٥٥):
«وقد كانت هذه طريقة شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عثمان
الحنبلي، المشهور بـ (خطيب دوما)...»

ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول: لم أحتج في القراءة على
الأساتذة في العلوم والفنون إلى أكثر من (ست سنين)...».

❖ وقال العلامة عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - :
«وعلى هذه الخطة سار السيد رشيد في تحصيله؛ فإنه حصل
قواعد العلوم في (ثمان سنوات)». «آثار ابن باديس» (٤ / ٢٠٣).

❖ وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله - في
«ترجمة جده الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١٥):
«ولذا كان الطالب المجد منهم: يتخرج في (سبع سنوات)».

❖ وقال العلامة ابن خلدون - رحمه الله - في «مقدمته» (٣/٩٢٧):
«ومما يشهد بذلك في المغرب: أن المدة المعينة لسكنى طلبه العلم
بالمدارس عندهم (ست عشرة سنة).

وهي بتونس (خمسة سنين).

وهذه المدة بالمدارس على المتعارف: هو أقل ما يأتي فيها لطالب

العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية، أو اليأس من تحصيلها

فطال أمدها في المغرب...».

المطلب الخامس

تشخيص الداء = أين الخلل؟!؟

إذا تقرر لدينا ما سلف، وهو:

- ١ - عدم وصول كثير من طلبة العلم إلى مرادهم: وهو تحصيل العلم النافع، مع بذلهم للأوقات والأعمار!
 - ٢ - وأن الأوقات المبذولة لتحصيل أصول العلم: أكثر بكثير من الأوقات التي كان يبذلها أهل العلم لتحصيل أصول العلم!
- يرد علينا الآن السؤال التالي:

(أين الخلل؟!؟)

❖ يجب عن هذا السؤال الإمام ابن خلدون بقوله:

«ومما يشهد بذلك في المغرب: أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم

بالمدارس عندهم (ست عشرة سنة).

وهي بتونس (خمس سنين)...

فطال أمدها في المغرب لهذه المدة: لأجل عسرها، من قلة الجودة في

التعليم خاصة، لا مما سوى ذلك».

«مقدمة ابن خلدون» (٣/ ٩٢٧).

❖ قال العلامة ابن بدران - رحمه الله - في «المدخل» (٢٥٣):

«وربما قضوا أعمارهم فيه، ولم يرتقوا عن درجة المبتدئين.

وإنما يكون ذلك لأحد أمرين:

- أحدهما: عدم الذكاء الفطري، وانتفاء الإدراك التصوري.

وهذا لا كلام لنا فيه، ولا في علاجه.

- والثاني: الجهل بطرق التعليم».

فإذا كان الخلل:

- كما يقول ابن خلدون: «من قلة الجودة في التعليم خاصة».

- وكما يقول برهان الإسلام الزرنوجي: «لما أنهم أخطأوا طريقه،

وتركوا شرائطه».

- وكما يقول ابن القيم: «الجهل: بالطريق، وآفاتها والمقصود».

- وكما يقول ابن بدران: «الجهل بطرق التعليم».

○ وجدنا أنه من المتفق عليه بينهم جميعاً: أن الخلل سببه الجهل بـ

(طرائق التعليم والتعلم).

المطلب السادس

فما هي الطريقة الصحيحة لطلب العلم وتحصيله؟
وما هي الأخطاء التي يقع فيها طالب العلم في رحلته إلى تحصيل

العلم؟

والجواب:

أن الأخطاء في طرائق التعلم كثيرة، أذكر وأبين أهمها وأكثرها

انتشاراً، ألا وهو: «ترك التدرج في طلب العلم».

الفصل الثاني

التدرج

- المطلب الأول: التدرج لغة وإصطلاحاً
- المطلب الثاني: التدرج من صغار العلم إلى كباره

المطلب الأول

التدرُّج في طلب العلم

١- التدرج لغةً:

❖ قال الفيومي في «المصباح المنير» (٧٣):

«ودرجته إلى الأمر تدريجاً، فتدرِّج، واستدرجته: أخذته قليلاً

قليلاً».

❖ وقال الزبيدي في «تاج العروس» (٥٥٣/٥):

«درج الشيخ والصبى، يدرِّج درجاً ودرجاناً...: إذا مشى كل

منها مشياً ضعيفاً، ودباً».

ثم قال: «واستدرجه: رَقَّاهُ، وأدناه منه على التدريج، فتدرج هو.

كدرَّجَه إلى كذا تدريجاً: عَوَّدَهُ إياه، كأنها رَقَّاهُ منزلة بعد أخرى».

٢- التدرج اصطلاحاً:

❖ قال يوسف أبو هلاله في كتابه «التدرج بين التشريع

والدعوة» (١):

«الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة، للبلوغ إلى الغاية

المنشودة».

٣- أقسام التدرج:

❖ قال الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم - حفظه الله

- في كتابه «الدليل إلى المتون العلمية» (٤٣):

«التدرج ينقسم إلى قسمين:

١. (تدرج بين العلوم المختلفة):

مثل أن يبدأ الطالب بعلم التوحيد، فإذا أتقنه، انتقل إلى علم

التفسير، ثم علم الحديث، وهكذا، كما هي طريقة المغاربة.

٢. (تدرج في العلم الواحد):

مثل أن يبدأ الطالب في علم الحديث بمتن «الأربعين النووية»،

ثم «عمدة الأحكام»، ثم «بلوغ المرام»، ثم «منتقى الأخبار».

وهكذا في بقية العلوم».

❖ قال العبد الفقير إلى عضوريه، فراس بن خليل مشعل:

وسأقتصر في هذا البحث على النوع الثاني من أنواع التدرج، وهو

«التدرج في العلم الواحد».

وأما النوع الأول - «التدرج بين العلوم المختلفة»-: فأسأل الله

أن يُيسر لي إفراده بجزءٍ آخر، أُبين فيه طريقة أهل العلم في ذلك.

المطلب الثاني

التدرج من صغار العلم إلى كباره

❖ قال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -

رحمه الله - في «مجموع الفتاوى» (٢٠٨/٢٦).

«لابد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من

العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه...

ثانياً: ضبطه على شيخ متقن، وتحقيق ألفاظه، وما كان زائداً أو ناقصاً.

ثالثاً: (عدم الاشتغال بالمطولات).

وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم؛ فلا بد لطالب العلم أن

يتقن (المختصرات) أولاً، حتى ترسخ العلوم في ذهنه، ثم يفيض

إلى (المطولات).

لكنَّ بعض الطلبة قد يُعرب: فيطالع (المطولات)!!!.

ثمَّ إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب المغني، قال صاحب

المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي؛ ليظهر أنه

واسعُ الاطلاع.

وهذا خطأ؛ نحن نقول:

ابدأ (بالمختصرات) حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا من الله عليك فاشتغل (بالمطولات).

وقياس ذلك بالأمر المحسوس: أن ينزل من لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق؛ فإنه لا يستطيع أن يتخلص، فضلاً عن أن يتقن».

❖ وقال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - في «حلية طالب العلم» (٢٥-٣٠):

«كيفية الطلب ومراتبه:

- من لم يتقن الأصول: حُرِّم الوصول.

- ومن رام العلم جملةً: ذهب عنه جملةً.

- وقيل أيضاً: ازدحام العلم في السمع: مضلة الفهم.

وعليه؛ فلا بدّ من التأصيل والتأسيس لكل فنٍ يطلبه: بضبط

أصله و (مختصره) على شيخٍ متقنٍ؛ لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذاً

الطلب (بالتدرج).

- قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

نَزِيلاً ﴿[الإسراء: ١٠٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١].
فأمامك أمورٌ لا بدَّ من مراعاتها في كل فنٍّ تطلبه:

١- حفظ (مختصر) فيه.

٢- ضبطه على شيخ متقن.

٣- عدم الاشتغال (بالمطولات) وتفاريق المصنفات قبل الضبط
والإتقان لأصله...».

ثم قال:

«فهل من عودةٍ إلى أصالة الطلب في دراسة (المختصرات
المعتمدة)؛ لا على المذكرات.

وفي حفظها؛ لا الاعتماد على الفهم فحسب!!

حتى ضاع الطلابُ: فلا حفظَ ولا فهمًا!

وفي خلو التلقين من الزَغَلِ والشوائبِ والكَدْرِ: سيرٌ على منهاج

السلف».

❖ وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه

الله ورعاه- في «ترجمة جدّه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١٤):

«وهذه (المنهجية في التدريس): هي التي تُخرِّجُ العلماء:

- حفظٌ للمتون.

- وبيانٌ وشرحٌ لها.

- وضبطٌ للأصول.

- ومعرفةُ الأدلة.

فبهذا تبنى (القواعدُ العلميةُ الراسخةُ) للمتعلمين.

وأما (القراءةُ في المطولات)، دون إحكام (للأصول والمتون):

فعلى أيّ أسٍ تُبنى، وعلى أيّ قاعدةٍ تُرفع!!!

فلا بُدَّ للمعلمين والمدرسين من النظر في هذه المنهجية!!!».

❖ لذلك قال العلامة ابنُ بدران - رحمه الله - في

«المدخل» (٢٥٧):

«وطرُقُ التعليمِ أمرٌ ذوقِيٌّ، وأمانةٌ مودعةٌ عند الأساتذة:

- فمن أداها: أثيب على أدائها.

- ومن جحدها: كان مطالباً بها!!!».

❖ وقال فضيلة العلامة عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - في كتابه «بهجة قلوب الأبرار» (٤٤):
«والحالة التقريبية:

أن يجتهد طالب العلم في حفظ (مختصر من مختصرات الفن) الذي يشتغل فيه.

فإن تعذر أو تعسر عليه حفظه لفظاً: فليكرره كثيراً، متدبراً لمعانيه، حتى ترسخ معانيه في قلبه.

ثم تكون باقي كتب هذا الفن: كالتفسير، والتوضيح، والتفريع لذلك الأصل الذي عرفه وأدركه.

- فإن الإنسان إذا حفظ الأصول، وصار له (ملكة تامة) في معرفتها: هانت عليه كتب الفن كلها: صغارها وكبارها.
ومن ضيَّع الأصول: حُرِم الوصول.

- فمن حرص على هذا الذي ذكرناه، واستعان بالله: أعانه الله، وبارك في علمه وطريقه الذي سلكه.

- ومن سلك في طلب العلم غير هذه الطريقة النافعة: فاتت عليه الأوقات، ولم يُدرِك إلا العناء، كما هو معروف بالتجربة، والواقع يشهد به.

- فإن يَسَّرَ اللهُ له معلماً، يُحَسِّنُ: طريقة التعليم، ومسالك التفهيم:
تمَّ له السببُ الموصلُ إلى العلم».

❖ وقال الإمام البخاري - رحمه الله - في «صحيحه»: كتاب
العلم، باب العلم قبل القول والعمل:

«قال ابن عباس: ﴿كُونُوا رَبَّنِيكَ﴾: حكماء فقهاء.

ويقال: الرباني الذي يربي الناس (بصغار العلم) قبل (كباره)».

❖ وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في «مفتاح دار السعادة»
(٢٦٢/١):

«وفيه - أيضاً - : تربية لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي
الوالدُ ولدهُ: فيربونهم (بالتدرج، والترقي، من صغار العلم إلى
كباره)، وتحميلهم منه ما يطيقون، كما يفعل الأبُّ بولده الطفل في
إيصاله الغذاء إليه».

❖ وقال بدر الدين بن جماعة - رحمه الله - في «تذكرة السامع
والمتكلم» (١٨٩):

«وإذا شرح محفوظاته (المختصرات)، وضبط ما فيها من

الإشكالات والفوائد المهمات:

انتقل إلى بحث (المبسوطات)، مع المطالعة الدائمة، وتعليق ما

يمرُّ به أو يسمعه من الفوائد النفيسة...».

❖ وقال الإمام الشاطبي. رحمه الله. في «الموافقات» (١٧٠/٥):

«ومنه أن لا يذكر (للمبتدئ) من العلم: ما هو حظُّ المنتهي، بل

يربِّي (بصغار العلم قبل كباره)».

❖ وقال الإمام أبو الحسن الماوردي -رحمه الله- في «أدب الدنيا

والدين» (٧١):

«واعلم أن للعلوم (أوائِل) تؤدِّي إلى (أواخرها)، و (مداخل)

تفضي إلى (حقائقها).

فليبتدئ طالب العلم (بأوائِلها): لينتهي إلى (أواخرها)، و

(بمداخلها) ليفضي إلى (حقائقها).

ولا يطلب (الآخرَ) قبل (الأول)، ولا (الحقيقة) قبل (المدخل):

فلا يدرك (الآخر)، ولا يعرف (الحقيقة).

لأن البناء على غير أُسٍّ: لا يُبنى، والثمر من غير غرسٍ: لا يُجْتنى».

❖ وقال تاج الدين السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم» (١٠٥):

«المثالُ الثامنُ والأربعون: المدرسُ

وحقُّ عليه أن يحسن إلقاء الدرسِ، وتفهيمة للحاضرين.

- ثم إن كانوا (مبتدئين): فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من (المشكلات)، بل يدرّبهم، ويأخذهم (بالأهون فالأهون)، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق.

- وإن كانوا (منتهين): فلا يلقي عليهم (الواضحات)، بل يدخل بهم في (مشكلات الفقه)...».

❖ وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «فتح الباري» (١/١٦٣):
«وكذا التعليم ينبغي أن يكون (بالتدرج)؛ لأنّ الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً: حُبِّبَ إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانسباط، وكانت عاقبته غالباً الازدياد، بخلاف ضده».

❖ وروى الحافظ ابنُ عبد البرِّ - رحمه الله - في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٤٣١) برقم (٦٥٢) عن يونس بن يزيد قال:
قال لي ابنُ شهاب:
«يا يونس! لا تكابر العلم: فإنّ العلم أوديةٌ، فأياها أخذت فيه:
قطعَ بك من قبل أن تبلُغَهُ».

ولكن خذهُ مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام

أخذه جملة: ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء، مع الليالي والأيام».

❖ وقال بهاء الدين، ابن النحاس، الحلبي، النحوي، شيخ الديار

المصرية في علم اللسان:

اليومَ شيءٌ وغداً مثله من تُخب العلم التي ثلثتقط
يُحصّل المرءُ بها حكمةً وإنما السيلُ اجتماع النُقط^(١)

❖ وقال فضيلة الشيخ العلامة ابن عثيمين في «منظومة

القواعد والأصول»:

٥- وبعدُ: فالعلم بجورٍ زاخره لن يبلغ الكادحُ فيه آخره
٦- لكنَّ في أصوله تسهила لئله فاحرص تجد سبيلا
٧- فاغتم القواعدَ الأصولا فمن تفتُّه يُحرم الوصولاً.

❖ وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - في «الذريعة إلى

مكارم الشريعة» (١٧٣):

«فحقه أن يجعل أنواع العلوم: كزاد موضوع في منازل السفر،

فيتناول منه في كل منزل قدر البلغة، ولا يعرِّج على تقصّيه واستفراغ ما

(١) بغية الوعاة (١/١٤).

فيه، فتقضي الإنسان نوعاً واحداً من العلوم على الاستقصار: يستفرغ
عمرأ، بل أعمارأ، ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره...

ويجب ألا يخوض في فن، حتى يتناول من الفن الذي قبله - على الترتيب
- بلغته، ويقضي منه حاجته، فازدحام العلم في السمع: مَضلة للفهم...

ويجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير (إخلال بالترتيب)، فإن
كثيراً من الناس (ثكلوا الوصول بتركهم الأصول).

وَحَقُّهُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَتَحَرَّاهُ التَّبَلُّغُ بِهِ إِلَى مَا فَوْقَهُ،
حتى يبلغ النهاية».

الفصل الثالث

التعامل مع المطولات

- المطلب الأول: حكم القراءة في المطولات
- المطلب الثاني: لماذا يمنع المبتدئ من قراءة المطولات؟
- المطلب الثالث: لماذا تقرأ المطولات؟
- المطلب الرابع: لماذا يختار كثير من طلبة العلم طريق المطولات؟
- المطلب الخامس: جدول مقترح لطلب العلم
- المطلب السادس: الخاتمة

المطلب الأول

حكم القراءة في المطولات

هل يجوز القراءة في المطولات والمبسوطات؟

أم أن هذه الكتب لا تصلح للقراءة ألبتة؟

الجواب: لا شك أن القول الأخير: قولٌ غير صحيح، بل هو

منكر من القول.

ولكن الصحيح في المسألة التفصيل.

فحكم القراءة في المطولات يختلف باختلاف القارئ فيها:

- فإذا كان القارئ من (المتوسطين أو المنتهين): فحكمه الإباحة.
- وإذا كان القارئ من (المبتدئين)، يبحث عن مسألة أو مسألتين: فحكمه الإباحة كذلك.

أما إن كان القارئ من (المبتدئين)، يقرأ فيها للدراسة والتعلم

فهذا غير جائز

المطلب الثاني

لماذا يمنع المبتدئ من قراءة المطولات؟

الجواب:

لأن المطولات إنما وضعت لمن تقدم في الطلب، فاجتاز مرحلة
الابتداء ومرحلة التوسط.

فالقراءة في المطولات لا بد لها من آلة للفهم والتمييز، وهذه
الآلة: هي علوم الآلة: أصول اللغة، والفقه، والحديث، وغيرها.
ومن خلا من هذه الآلة، فلن يستطيع فهم المباحث المطروقة
بتفصيل في المطولات؛ لأنه سيمر به كثيرٌ من لغة العلم التي لا يتقنها
ولا يفهمها، من مثل: العموم، الخصوص، المطلق، المقيد، الناسخ،
المنسوخ، المدرج، الشاذ... الخ.
وهذه اللغة - لغة العلم - لا يتقنها إلا من تعلمها.

المطلب الثالث لماذا تُقرأ المطولات؟

تقرأُ المطولات لأمرين:

١ - تنقيح الأفكار بعضها ببعض.

٢ - تدوين الفوائد والنكات.

و أحسب أن الأول أجلُّ من الثاني؛ لأنه به تنمو الملكات؛

بخلاف الثاني فإنه يوسع الثقافة فحسب.

المطلب الرابع

لماذا يختار كثيرٌ من طلبة العلم طريق المطولات

لماذا يسلكُ كثيرٌ من طلبة العلم طريقة (دراسة المطولات)،

ويتركون طريقة (دراسة المختصرات)؟

الجواب:

لأن الطريقة الأولى: سهلةُ المآخذ، ، طريقٌ إلى التشبع بما لم يُعْطَ.

بخلاف الطريقة الثانية (طريقة دراسة المتون والمختصرات): فهي

طريقٌ طويلة، تحتاج إلى حفظٍ، ومراجعة، وتدقيق.

وثمراتها بطيئةٌ، لكنها ثابتةٌ، مضمونة النتائج.

ولا تصلح للتشبع بما لم يعط المرءُ.

فإذا جلس صاحب الطريقة الأولى إلى صاحب الطريقة الثانية

وأخذ الأول يقول: قال صاحب المغني، المحلى، المجموع، النيل.

والمسألة خلافية، قال فيها فلانٌ كذا، وفلان كذا:

حَزَنَ صاحب الطريقة العلمية الثابتة الراسخة، وقال: مالي لا

أحصل مثل ما حصَّل؛ إنها لطريقٌ طويلة.

ولكن إذا مضت السُّنُونُ والأَيَّامُ: ظهر الفرق

فتدرج صاحب الطريقة الراسخة العلمية إلى التوسطِ فالانتهاه.

وغدا صاحب الطريقة الأولى لا يحمل إلا معلومات مبعثرة من هنا وهناك.

فحينئذ قارن بينهما:

- فإذا سألته عن مأخذ الخلاف حارَ جواباً!

- وإذا سألته عن وجه الاستدلال: لم يجبك!

بينما ترى صاحب (طريقة المختصرات): علمه منظمٌ، مرتبٌ،

ثابتٌ، مبنيٌّ، لبنةٌ فوق لبنةٍ.

وما مثلها إلا كمثل شجرتي الصنوبر والدباء:

ألم ترَ إلى شجرة الصنوبر، تُثمرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدباء،

تصعد في أسبوعين، فتدرك الصنوبر!

فتقول شجرة الدباء لشجرة الصنوبر: إنَّ الطريق التي قطعت في

ثلاثين سنة: قد قطعتها في أسبوعين؛ فيقال لك: شجرة، ولي: شجرة!!!.

فتقول شجرة الصنوبر: مهلاً إلى أن تهب ريح الخريف^(١).

وكذلك لصاحب (طريقة المختصرات) أن يقول لصاحب

(طريقة المطولات): مهلاً إلى أن تهب ريح خريف الطلب!

(١) اللطائف - لابن الجوزي (٢٢).

المطلب الخامس

جدول مقترح لمطلب العلم

النحو	مصطلح الحديث	أحاديث الأحكام	الفقه	أصول الفقه	التفسير	علوم القرآن	المقيدة	المرحلة
شرح الأجزوية لابن عثيمين	الورقة للذهبي	عمدة الأحكام لعبد الغني القدسي	الدرر البهية للشوكاني	شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين	تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي	مقدمات أساسية في علوم القرآن لعبد الله الجديع	القول القيد شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين	الأولى
شرح قطر الندى لابن هشام	نزهة النظر لابن حجر	بلوغ الرام لابن حجر	الإقناع لابن المنذر	أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض السلمي	تفسير القرآن العظيم لابن كثير	مناهل العرفان للزرقاني	شرح المقيدة الراسخة لابن عثيمين	الثانية
شرح ألفية ابن مالك لابن عقل	فتح المفتاح للسخاوي	النتقى للمجدد ابن تيمية	الشرح الممتع لابن عثيمين	البحر المحيط للزرکشي	تفسير الطبري	الإقناع في علوم القرآن للسيوطي	شرح الرسالة التفسيرية لعبد الرحمن بن ناصر البراك	الثالثة

المطلب السادس

الخاتمة

وختاماً أخي القارئ، فإني مُعترفٌ بقصوري فيما اعتمدت عن الغاية، وتقصيري عن الانتهاء إلى النهاية، فأسأل الناظر فيه أن لا يعتمد العنت، ولا يقصد قَصْدَ من إذا رأى حسناً ستره، وعبياً أظهره.

وليتأملْه بعين الإنصاف، لا الانحراف، فمن طلب عبياً وجدَّ: وَجَدَ، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضى: فَقَدَ فَقَدَ.

فرحم الله أمراء أقهروا هواه، وأطاعوا الإنصاف ونواه، وعَدَرْنَا فِي خَطَأٍ إِنْ كَانَ مِنَّا، وَزَلَّلَ إِنْ صَدَرَ عَنَّا، فَالْكَمَالُ مَحَالٌّ لَغَيْرِ ذِي الْجَلَالِ، فَالْمَرْءُ غَيْرُ مَعْصُومٍ، وَالنَّسِيَانُ فِي الْإِنْسَانِ غَيْرُ مَعْدُومٍ.

وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب، فقد علم أن كل مجتهد مصيب، فإننا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة، فقد أصبنا في مواطن كثيرة.

فما عَلِمْنَا فِيمَنْ تَقَدَّمْنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَمَّنَا مِنَ الْأُئِمَّةِ الْقَدَمَاءِ أَحَدًا إِلَّا
وَقَدْ نُظِمَ فِي سِلْكِ أَهْلِ الزَّلَلِ، وَأُخِذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخِطْلِ، وَهُمْ هُمْ.

فكيف بنا مع قصورنا واقتصارنا، وَصَرَفَ جُلَّ زَمَانِنَا فِي نَهْمَةِ
الدُّنْيَا، وَطَلَبِ الْمَعَاشِ، وَتَنْمِيقِ الرِّيَاشِ، الَّذِي مَرَادِنَا مِنْهُ، صِيَانَةُ
الْعَرَضِ، وَبِقَاءِ مَاءِ الْوَجْهِ لَدَى الْعَرَضِ.

غَيْرَ أَنِّي أَرْغَبُ إِلَى النَّظَرِ فِيهِ أَنْ يَتَرَحَّمَّ عَلَيَّ، وَيُعْطِفَ جِيدَ دَعَائِهِ
إِلَيَّ، فَذَلِكَ مَا لَا كَلْفَةَ فِيهِ عَلَيْهِ، وَلَا ضَرَرَ يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْهِ، فَرُبَّمَا انْتَفَعْتُ
بِدَعْوَتِهِ، وَفَزْتُ بِمَا قَدْ أَمِنَ هُوَ مِنْ مَعْرَتِهِ^(١).

وكتب حامداً ومصلياً ومسلماً

أفقر العباد إلى عفوره

فراس بن خليل مشعل

غفر الله له ولوالديه

(١) معجم الأدباء (١/١١-١٢).

الفهرست

- الفصل الأول ٥
- المطلب الأول: تمهيد ٧
- المطلب الثاني: صلاح المسلمين بصلاح تعليمهم ١٠
- المطلب الثالث: وصول بعض الطلبة دون الآخرين ١٣
- المطلب الرابع: المدة الزمانية الكافية لتحصيل أصول العلم ١٥
- المطلب الخامس: تشخيص الداء = أين الخلل ١٧
- المطلب السادس: الأخطاء في طرائق التعلم ١٩
- الفصل الثاني: التدرج ٢١
- المطلب الأول: التدرج لغة واصطلاحاً ٢٣
- المطلب الثاني: التدرج من صغار العلم إلى كباراه ٢٥
- الفصل الثالث: التعامل مع المطولات ٣٥

- المطلب الأول: حكم القراءة في المطولات ٣٧
- المطلب الثاني: لماذا يمنع المبتدئ من قراءة المطولات ٣٨
- المطلب الثالث: لماذا تقرأ المطولات ٣٩
- المطلب الرابع: لماذا يختار كثير من طلبة العلم طريق المطولات ٤٠
- المطلب الخامس: جدول مقترح لطلب العلم ٤٢
- المطلب السادس: الخاتمة ٤٣
- الفهرست ٤٥

صدر للمؤلف

(١) «قاعدة الأحكام التي تختلف بالسفر والإقامة» لشيخ الإسلام ابن تيمية،
قدّم له فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، طبع عن دار أضواء
السلف، بالرياض.

(٢) «رسالة الإمام أبي بكر البيهقي إلى الإمام أبي محمد الجويني» طبع عن دار
البشائر الإسلامية، بيروت.

(٣) «ذكر صلاة التسيح» للخطيب البغدادي، قدم له فضيلة الشيخ مشهور
بن حسن آل سلمان، طبع عن الدار الأثرية، بعمّان.

(٤) «الخمسة العثمانية - عمّان البلقاء -» لابن المبرد، طبع عن أمانة عمّان
الكبرى.

(٥) «اللآلئ الحسان مما جاء فيه ذكرُ لعمان»، طبع في ذيل الكتاب السابق.

(٦) «الرجعة لبيان الضجعة بين سنة الفجر والفريضة» لحامد بن علي
العمادي، طبع عن الدار العثمانية، بعمّان.

(٧) «اللمعة في تحريم المتعة» لحامد بن علي العمادي، طبع عن دار ابن الجوزي،

بعمّان.

(٨) «المسح على الخفين المنخرقين» لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع عن الدار

العثمانية، بعمّان.

(٩) «إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين - البخاري ومسلم -» لأبي الفداء

العجلوني، طبع عن دار ابن تيمية، بعمّان.

(١٠) «طبقات الحنفية» لعلي بن أمر الله الحنائي، طبع عن دار ابن الجوزي،

بعمّان.

(١١) «التدرج في طلب العلم - (العلم الواحد) أنموذجا-»، طبع عن

منتدى العلم النافع، بعمّان.

وتحت الإعداد

(١٢) «حاجة طالب العلم إلى علم النحو».

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التدرج في طلب العلم

- (العلم الواحد) أنموذجا -



جمعية منتدى العلم النافع

علمية - ثقافية - توعوية

مرج الحمام - عمارة البنك الإسلامي 0775255599

Muntada.edu.2011@outlook.com

ص . ب : 143010 رمز بريدي 11814

رقم الحساب :

البنك الإسلامي - فرع مرج الحمام / 12775